10me Année No. 487

Lundi - 2 - 11 - 1942

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مصـ
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد
الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٤٨٧ « القاهرة في يوم الإثنين ٢٣ شوال سنة ١٣٦١ — الموافق ٢ نوفبر سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهرس

صفحة

١٠١٣ أمثال أخرى وأفعال . . : الأستاذ عباس محمود العقاد

١٠١٦ « حديث عيسى بن هشام » : الدكتور زكي مبارك ... ...

١٠١٩ « أرواح وأشباح » ... : الأستاذ محمد توحيد السلحدار بك

١٠٢٢ الأزهر والامام محمد عبده : الدكتور محمد البهي ... ..

١٠٢٤ وفاة الامام ابن تيمية . . : الأستاذ أحمد رمزي بك . .

١٠٢٦ ذكرى أم كلثوم . . ... { للشاعر التركي ابراهيم صبري بقلم الأستاذ محمود محمد شاكر

١٠٢٧ إلى المعترضين علينا ... : الأب أنستاس ماري الكرملي

١٠٣٠ إذهب... ... [قصيدة] : الأستاذ على متولى صلاح . .

١٠٣٠ المقابر ... ... « : الأستاذ محمد برهام . ...

١٠٣١ في جماعة كبار العلماء : مصادرة كتاب ومؤاخذة عالم { ... ...

١٠٣١ في نسب العبيديين . : الأستاذ صلاح الدين شفيق

أمثال أخرى وأفعال

للأستاذ عباس محمود العقاد

بين الروسيين والصينيين مشابهة محسوسة وهي اشتراك كل من الأمتين في الاتصال بالمغول من طريق المجاورة والمعاشرة والمصاهرة ، واقتباس كل من الأمتين كثيراً من عادات المغول ومأثوراتهم في القصة والمثل والجديلة . فمن قرأ القصص والأمثال الصينية لم يعدم بينها وبين أمثال الروسيين وقصصهم مشابهة ظاهرة في الأسلوب والمزاج ، ولم يكد يتخيل بين الأسلوبين فارقاً بعيداً في غير الحواشي والتفصيلات . أما الجوهر فواحد أو يكاد أن يتوحد كما يتوحد الأقربون والصحبة المتلازمون

فإذا استحضرت أمثال الروسيين وتخيلت قائلها رجلاً واحداً خيل إليك أنه إنسان صبور رصين مستسلم يعرف الدنيا معرفة هادئة ، ويتحدث عنها تحدث سخر ممزوج بالألفة والمحبة ، وهذه هي الصورة التي تبدو لك من قراءة القصص والأمثال الصينية مع فارق يسير تلمحه في جملة الأمثال وقد تخطئه في المثل الواحد والمثلين ، ونريد به أن صقل الحضارة أظهرُ في أمثال الصينيين ، وأن خشونة البداوة والفلاحة أظهر في أمثال الروسيين ، ويتفرع على ذلك أن الصيني أقرب إلى السلم ، وأن الروسي أقرب إلى الحرب ، وإن كانا يتلاقيان في خصلة متماثلة وهي أنهما يباشران الحرب

دفاعاً فيصبران عليها ويستبسلان فيها ، ويباشرانها هجوماً وعدواناً فلا يتحركان طويلاً للهجوم ولا يحتفظان كثيراً بحماسة العدوان

وقد ظهر هذا جميعه فى حرب الصين واليابان وفى حرب الروس والألمان ، فظهرت شجاعة الصينيين وصبرهم كما ظهرت شجاعة الروسيين وصبرهم ، ولم يعهد للأمتين قبل الآن مثل هذه الشجاعة ومثل هذا الصبر فى حروب الهجوم والعدوان

وقد تحولت من أمثال الروسيين إلى أمثال الصينيين كما تتحول اليد من فاكهة إلى فاكهة مثلها على شجرتين متقاربتين فى بستان واحد ، فلم أشعر أننى أبعدت النقلة بين القطفتين وإن كان لا بد من خلاف بين ثمرة وثمرة وإن قطفتا من شجرة واحدة

والصينيون أولع أمم العالم قاطبة بالمثل السائر والنادرة المنجمة على حسب العبر والوقائع . وليس هذا بعجيب مع ما هو معلوم من محافظة القوم على شعائر السلف وتبجيلهم لذكرى الآباء والأجداد ورجوعهم بالحكمة كلها إلى عظات الأقدمين . وفى ذلك تأييد لما أسلفناه فى ختام مقالنا السابق عن أمثال الروسيين

قلنا فى ختام ذلك المقال أن إهمال العصريين لرواية الأمثال غير عجيب إذا نظرنا إلى الخلق الغالب بينهم ، « فقل فى أبناء عصرنا من يقتدى بالسلف أو يحب أن يقال عنه إنه ممن يقتدى بهم فى المعيشة والسلوك ، ولا معنى لسرد الأمثال ما لم يكن ديدن السلف حجة مقبولة بين القائلين والسامعين »

والصينيون يستحدثون اليوم ما يستحدثون فى عادات المعيشة وآداب السلوك ولا يزالون على ديدنهم القديم من تقديس الآباء وتوقير السنن المأثورة عنهم ، فلا جرم يحرصون على الأمثال حرصاً لا نعهده بين المحدثين وطلاب الاستحداث فى أنحاء العالم ، ولا جرم يودعون فى أمثالهم من روح الشعب ما هو أبلغ فى الدلالة عليهم والإبانة عنهم من الأسفار والموسوعات

قال دكتور هنرى هارت فى مقدمة منتخباته من الأمثال الصينية : « كل إنسان فى الصين يتمثل الأمثال ... وقد سمعتها من لسان الأمبراطور كما سمعتها من لسان الخادم الوضيع ، فهى عندهم العملة الجارية فى اللغة، والدرب المختصر فى المحادثة ، وكثيراً ما تغنى عن المناقشات الطويلة وتحل العقد الشائكة . فيشوق الشاهد أن يصغى إلى المعارك الكلامية التى لا تنى تتردد بين أهل تلك البلاد ، إذ يعرض الخلاف الصغير فيزدحم حوله الجمع الكبير من الكسالى والمستطلعين ، وإذ يحتدم المختلفان قليلاً قليلاً وكلهم مولود على استعداد للتمثيل ، فيلوح للمشاهد أن العنف واقع لا محالة وإن لم يكن الصينيون مشهورين بالملاكمة وقليلاً ما يعتدى أحدهم باليد على أخيه ، ثم يتفق فجأة أن يتقدم أحد الواقفين — ويغلب أن يكون من الكهول أو الشيوخ — فيتكلم ويأتى بمثل موجز موافق للمقام ، فكأنما تلك الكلمة النافذة المحبوكة هى الكلمة التى كان ينتظرها الطرفان المتشاجران، فتنحل العقدة المعضلة ، ويتراجع الخصمان ، ويتخافت صوتاهما العاليان ، وترتفع ابتسامة فى مكان العبوس ، وتنتهى المشاجرة على خلاف ما يود المشاهدون من طلاب الضجيج والعجيج »

وهذا المشهد الذى وصفه المؤلف قد نراه فى مصر ونذكر الكلمات التى تفض بها مشاجرات الطريق ، فهى فى الغالب أمثال شائعة ، وفى الأغلب عظات من الكتاب والسنة النبوية ، ولكنها فى القرى أعم منها فى الحواضر الكبيرة ، ولحكمة السلف ومقام الشيخوخة فيها أثر غير قليل

ولكنك لا تقرأ مئات الأمثال عندهم ومئات الأمثال عندنا حتى تلمح الفارق بين الأمتين وإن اتفقتا على بعض العادات والخطرات

فأول ما يبدهك من جملة أمثالهم أنهم أبيقوريون يحبون الترف المريح ، ويألفون الدعة الفلسفية التى تسكن إليها النفس كما يسكن إليها الجسد ، ويؤثرون الترشف من النعيم على الغرق فيه ، ويقنعون بتجزئة السعادة إذ لا سبيل إلى السعادة الكاملة التى تدوم ولا يخشى عليها زوال

ومن أبدع أمثالهم التى تنم على هذا المزاج قولهم : « من عاش يوماً خالياً عاش يوماً خالداً » وقولهم : « ألف ريال لا تشترى ضحكة واحدة » ؛ وقولهم : « الأمراض تدخل من الفم والمصائب تخرج منه » ؛ وقولهم : « البركة قلما تقبل أزواجاً ، والمصائب قلما تقبل فرادى »

وقد أوردنا للروسيين مثلاً يعبر عن الفوارق الاجتماعية يقولون فيه : « إن عيوننا تملأها شمس واحدة وبطوننا لا يملأها طعام واحد » . وهو شاهد بارع من شواهد الطبيعة يقاربه فى معدنه قول الصينيين : « الصيف للجميع والشتاء على حسب الكساء »

وأوردنا للروسيين مثلاً لرشوة الحكام إذ يقولون : « من

باب الطريق صدٌّ ومن باب السر ترحيب » ويشبهه عند الصينيين في موضوع الرشوة وفعل المال في قضاء الحاجات قولهم وهو مختلف بعبارته متفق بمؤداه : « عشرة ريالات تحرك أرباب الهيكل ومائة ريال تحرك السماء نفسها ! »

والقوم معروفون بقدم العهد بالمدنية المدنية وحسن الحفاوة في الاستقبال ، وهو ظاهر من تعويلهم في التجارة على الابتسام إذ يقولون ما فحواه : « إن الذي لا ينفرج فمه بابتسامة لا ينفرج له باب دكان » ومن استعظامهم داء الجلافة إذ يقولون : « إنها داء ليس له عند الطبيب دواء »

ومن قولهم فيما يشبه هذا ويتصل به : « إن فتح دكان لسهل ، وإنما الصعوبة أن يظل مفتوحاً ... »

ومن أمثالهم التي تدل على طبيعة الحذر فيهم أو تدل على نصحهم بالحذر والاحتراس : « احمل مظلتك والسماء صاحية ، وادخر مؤونتك وجوفك شبعان » و « الجمال لا يوقع الرجال في الشرك ، إنما هم الذين يقعون فيه » و « لا تشتم امرأتك في المساء وإلا نمت وحدك ! » و « المرأة الشابة والخادمة النبية كنزان لا يقوَّمان » و « لا ترسل الباز حتى تبصر الأرنب » وهكذا في عشرات من الأمثال

وربما كان الصينيون في طليعة الأمم التي هانت فيها أقدار المقاتلين وعظمت أقدار الحكماء والنساك ، ولهذا تتواتر عندهم الأمثال التي تدل على نفاسة الحكمة وصعوبة الحصول عليها من قبيل قولهم : « الذهب له ثمن والحكمة بغير ثمن » وقولهم : « طالب العلم كالصاعد في وجه التيار إن لم يتقدم فهو منحدر » وقولهم : « خذ الخمر قطرات والحكمة جرعات ! » وقولهم : المعرفة كنز يتبع صاحبه حيثما ذهب » وقولهم : « العلماء ذخائر الأمم » وقولهم : « من علمني يوماً فهو أبي مدى الحياة »

وقد اشتهروا كذلك بالسكن إلى حياة الأسرة وحيرة الوطن، فحفلت أمثالهم بالتغني بالبيت والوطن ؛ واجتمع أفضل ما قالوه حول هذا الغرض في مثلين نموذجين أحدهما قولهم : « لا يخلو البيت من راحة ولا خارج البيت من تعب » وقولهم : « لتكن حسناء أو شوهاء فهي بلادي . وليكن قريباً أو غير قريب فهو ابن وطني ! » وربما زادنا علماً بقوام البيت عندهم قولهم : « الزوجة لفضيلتها والخليلة لجمالها »

ومن نماذج السخرية المطمئنة في أمثالهم قولهم : «بائع البطيخ يقول إنه حلو ! » وقولهم : « كلب ينبح على شيء ، وألف كلب تنبح على نباحه » وقولهم : « تولد ولا تحضر معنا شيئاً ، وتموت ولا تذهب بشيء » وقولهم : « الغراب أسود هنا وأسود في كل مكان » وقولهم : «إذا خلقت السماء إنساناً فله طلب لا محالة ! »

وهم قدريون كالروسيين أو قدريون كعامة الشرقيين ، فليس أكثر في أمثالهم من التسليم للقدر وقلة الجدوى في خلافه على تمدد في اللفظ وتوحد في المعنى ، كما يقولون ، وفيه شيء من سخريتهم : « يقول الإنسان هكذا هكذا ، وتقول السماء ليس كذلك ليس كذلك ! » أو يقولون : « ما يبرمه القضاء لا ينقضه إنسان » أو يقولون : « من خلق للسعادة فلا يعجل وراءها » أو يقولون « كل كأس وكل لقمة مقدرتان لفم ، لا يأخذهما غيره »

***

ولا نهاية للمواضع والمناسبات التي يستشهد فيها ببعض هذه الأمثال الصينية التي يخطئها الإحصاء

إلا أن الشاهد الأكبر فيما نحن بصدده هو هذا الاهتمام من قبل الأمم الغربية بكل جانب من جوانب البحث في البلدان التي تلتفت إليها أنظار الناس على أثر الحوادث الحربية أو السياسية التي تقع فيها . فما مضت أشهر على اشتغال الصحف بقضية الصين حتى امتلأت رفوف المكتبات بالمجالات والرسائل والمجلدات عن كل شيء يعرف — أو ينبغي أن يعرف — من أحوال تلك البلاد ، فهذا يكتب عن النهضة الصينية ، وذاك يكتب عن زعماء الصين ، وغيرهما عن تاريخ السياسة الأوربية في الشرق الأقصى ، وغيرهم يكتب عن فن الصين أو أغاني الصين أو عقائد الصين أو محاسن الصين ، إلى أشباه ذلك مما يقترن بالصين وأبنائها ولو من بعيد

ومثل هذا حدث في اهتمامهم بروسيا بعد ثورتها الاجتماعية أو بعد حربها الأخيرة مع النازية ، ويحدث مثله كذلك حول كل مسألة من المسائل القومية أو العالمية التي ترتبط ببلد من البلدان ، حتى ليصح أن يقال إن الحرب عندهم ليست شراً محضاً يجلب الخراب وينزل بالبلاء ثم ينتهي أثره عند ذلك ، لأنها في الواقع سبيل من سبل المعرفة وباب من أبواب التعارف ، وطريق إلى كشف الظلمات عن مجاهل العالم قاصيه ودانيه

عباس محمود العقاد

مسابقة الأدب العربي لطلبة السنة التوجيهية

٢ – حديث عيسى بن هشام

للدكتور زكي مبارك

تأريخ المجتمع ونقد المجتمع — جريمة أدبية — سريرة المويلحي — التحرش بالأزهريين — صفحات تعليمية — كلمة إنصاف

تأريخ المجتمع ونقد المجتمع

المجتمع اسمه الجمعية في لغة المويلحي وفي لغة من عاصروه ، فهو يقول الجمعية الإنسانية ويعني بها ما نسميه المجتمع الإنساني . وقد لاحظنا فيما سلف أن « الجامعة المصرية » معناها في كتابات لطفي باشا السيد « الرابطة المصرية » وأن الجامعة بمعناها الجديد كانت تسمى الكلية ، وقد وردت بهذا النص في مجلة المقتطف عند الكلام عن إنشاء الجامعة المصرية . وبعض جرائد الشام لهذا العهد تذكر « الجامعة البشرية » وهي تعني الرابطة الإنسانية . فليلتفت الطلبة إلى أن في كتابات المويلحي ألفاظاً هجرها كتّاب اليوم ، أو نقلوها من وضع إلى وضع ، وللألفاظ أعمار وأزمان !

ثم أذكر أنه يجب أن نلاحظ الفرق بين تأريخ المجتمع ونقد المجتمع ، ففي الكتاب فقرات تؤرخ المجتمع من غير قصد ، فنعرف منها بعض أحوال القاهرة منذ نحو خمسين عاماً ، كأن يصف المؤلف داراً بالعزة والرفاهية فيذكر أنها تضاء بالكهرباء . ونحن اليوم لا نقول ذلك ، لأن الأغلب في القاهرة أن تضاء الدور بالكهرباء ، وإن لم يكن أهلها أغنياء . وكأن يذكر المؤلف أن محكمة الاستئناف في حي الاسماعيلية وأنها لم تكن تستقر في مكان . وكأن يقول : إن سكان مصر عشرة ملايين . وكأن ينص على أن المحامين أمام المحاكم الأهلية لا يعرفون اللغات الأجنبية ، وكأن يشير إلى متحف بولاق ومتحف الجيزة ، وليس عندنا اليوم غير متحف قصر النيل . وكأن يذكر أن كتّاب المحكمة الشرعية تنتظرهم حميرهم وبغالهم على الأبواب ، وكأن يجعل سدنة « الدفترخانة » أشياخاً يحملون الدوىّ النحاسية في أحزمة القفاطين . وكأن يقول التشخيص وهو يريد التمثيل . وكأن يذكر في القانون الجنائي أشياء لا يعرفها قضاة هذا الزمان

التأريخ المقصود

وقد يقصد المويلحي إلى تأريخ بعض تطورات المجتمع في الزمن الذي سبق تأليف الكتاب ، كأن ينص على « سر الليل » ، فمن هذا « السر » نفهم أن القاهرة كانت تُغلَّق أبوابها بالليل فلا يدخلها أحد إلا بإشارة يفهم منها الشرطة أنه في غنى عن الاستئذان

وهنالك تأريخ يحمل معاني النقد ، كأن يُنطق « الباشا » بعبارات ندرك منها أن النزعة التركية كان لها في زمانه مكان . ففي ص ٢٤ يعجب الباشا من أن لا يكون لأمير على مصريّ أمرٌ . وفي ص ٢٧ ينكر الباشا « أن يحكم الناس فلاح وبنوب عنها حرّاث » . وفي ص ٤٣ يعجب الباشا من أن « يتعدى المصريُّ على الجندي » . وفي ص ٤٨ يصرّح الباشا بأنه عاش دهره لا يعرف أن السجن يكون في عقاب الكبراء والأمراء ، وإنما يكون في عقاب السفلة من العامة والغوغاء من الناس !

ثم ينفجر المؤلف في ص ٧٢ فيقول في الأتراك كلاماً لا يقال اليوم ، لأن هذه النزعة قد اختفت أو ماتت ، بغض النظر عن الحادث الذي وقع منذ بضع سنين[1]

النقد المقصود

يجري قلم المؤلف بعبارات نقدية خفيفة من صفحة إلى صفحات ، ثم يعمد إلى النقد عمداً فيسهب ويطيل . ولعل المحامين والقضاة والأعيان لم يصابوا في سمعتهم بأذى ولا أوجع مما رماهم به المويلحي في عرامة نادرة المثال

هل كان المجتمع المصري قبل خمسين سنة على نحو ما صوره ذلك القلم الفاتك ؟ وهل كان يغلب أن يكون القضاة من الفتيان الأماليد ؟ وهل كانت المحاماة نصباً في نصب وخداعاً في خداع ؟ وهل كان « العمدة » الذي تعقّبه المويلحي نموذجاً لجميع الأعيان في ذلك الزمان ؟

جريمة أدبية

هي جريمة المويلحي في تصور المجتمع المصري ، فقد اهتمّ بتجسيم العيوب تجسيماً بلغ الغاية في القسوة والعنف ، وسكت عما في المجتمع المصري من محاسن أصيلة هي سر بقائه في صحة وعافية ، برغم ما أصاب هذه البلاد من كوارث وخطوب

(١) راجع افتتاحية « الرسالة » في العدد ٣٠٩

وعذر المويلحى أن نُقاد المجتمع لعهده كانوا جميعاً متشائمين ، ولو شئت لقلت إنهم كانوا يجدون لذة فى التــذمر والتقزُّز والتفجع ، ولهذا الاتجاه شواهد نجدها فى كتابات توفيق البـكرى ، وفى قصائد حافظ إبراهيم ، وفى تلك البيئة ظهر المنفلوطى فـكان أدبه من صور القلق والانزعاج

وما أقول بأن أمثال هؤلاء الـكتاب يفترون على المجتمع ، لا ، فقد صوَّروا بيئات موجودة بالفعل ؛ وقد لا تنقرض ، فلن تخلو الدنيا من محام نصَّاب ، أو قاض كسلان ، أو تاجر غشاش ؛ وإنما أُنـكر التعميم فى الأحكام النقدية ، التعميم الذى يصم المجتمع فى جميع طبقاته بالتفـكك والانحلال ، مع أنه فى الحقيقة لا يخلو من تماسك يضمن له البقاء

وإنما عددت هذا المذهب جريمة أدبية لأنه ينتهي إلى التعجيز والتيئيس ، ولأن أثره فى تقويم المجتمع أثرٌ ضئيل

يضاف إلى ذلك أن أصحاب هذا المذهب لا يضعون النماذج للمجتمع المنشود ، وإن فعلوا فلن يكون المجتمع الصالح فى نظرهم إلا بيئة خيالية لا يعرفها سكان الـكرة الأرضية

سريرة المويلحى

حديث عيسى بن هشام يشهد شهادة صريحة بأن المويلحى قد ارتطم فى حياته بمشكلات ومعضلات خلقتها معاملاته مع الناس . والظاهر أنه عرف المحاكم المصرية من مختلطة وأهلية وشرعية ، عرفها مدَّعياً ومدَّعى عليه . والظاهر أيضاً أنه ابتُلى بمزعجات الأوقاف . ولا جدال فى أنه عانى الغدر من بعض الأصدقاء ، فله فى الأصدقاء كلمات سارت مسير الأمثال . ويظهر كذلك أنه اتصل اتصالاً وثيقاً بالملاعب القاهرية فى مكايدها الليلية ، ثم يظهر أنه بادل الصحفيين من معاصريه ظلماً بظلم ، وعدواناً بعدوان

أقول هذا لأدفع تهمة وُجِّهت إلى المويلحى من أديب عظيم هو أخونا الأستاذ الزيات الذى يرى فى « الرحلة الثانية » شاهداً على أن الرحلتين ليستا لـكاتب واحد ، لأن الفرق بين الرحلة الأولى والرحلة الثانية بعيدٌ بعيد[1]

والحق أن الرحلة الثانية ضعيفة كل الضعف ، بالقياس إلى الرحلة الأُولى ، ولـكن ما سبب ذلك الضعف ، مع تقارب الأسلوب فى الرحلتين تقارباً يشهد بأن الـكاتب هنـا هو الـكاتب هناك ؟

يرجع السبب إلى أن المويلحى لم يعرف من أوربا غير فرنسا ، ولم يعرف من فرنسا غير باريس ، ولم يعرف من باريس غير ظواهر سطحية لا تقلقل الخاطر ، ولا تبلبل الوجدان ، فـكيف جاز أن يدّعى القدرة على تصوير المدنية الغربية ؟

المويلحى لم يعرف باريس ، وإن زار باريس ، ولو أنه عرف تلك المدينة فى حياتها الحقيقية « كما عرف القاهرة فى حياتها الحقيقية » لقال فيها كلاماً غير الذى قال ، ولـكان من الجائز أن يُفردها بكتاب يشرح ما تعانى من اصطراع المذاهب والآراء ، فقد زار باريس وهى فى عنفوان الفتوة ، وفى اتصال وثيق بأمم الغرب والشرق ، ومع هذا لم يستطع أن يدوِّن من حيواتها غير بوارق مهددة بالخمود

بدا لى مرة أن أعرف ما أُلِّف عن الحى اللاتينى ، فجمعت نحو ثلاثين كتاباً ، منها كتاب يصور ما يعانى طلبة السوربون من اليهود المرابين

وبدا لى مرة ثانية أن أحصي المـكتبات القائمة بالحى اللاتينى وهو مهد الفـكر الحر ، فهالنى أن أجد فيه مكتبة لا تبيع مؤلفات رينان بحجة أنه زنديق

وبدا لى مرة ثالثة أن أعرف إلى أى مدًى تتصل باريس بأساطير الأولين فجمعت من ذلك أشياء وأشياء ... فأين المويلحى من ذلك التعقيد العنيف ؟

وخلاصة القول أن إخفاق المويلحى فى تصوير الحيـاة الباريسية يرجع إلى أنه لم يعانِ فيها مشكلات تزلزل العقل أو تثير الوجدان ، فجاء حديثه عن تلك الحياة أضعف وأضعف من أن يسامى حديثه الأول فى وصف الحياة المصرية ... والأدب يأخذ قوته من التجارب والمشاهدات ، لا من الحدس والتخمين . وكذب من ادَّعوا أن الأدب أوهامٌ وظنون

ومن الواجب أن نسجل أن المويلحى نظر إلى المدنية الغربية بالعين الشرقية ، فلم يحاول إبراز ما فيها من خصائص إيجابية ، كما حاول إبراز ما فيها من خصائص سلبية . وهو مع ذلك محمود الصنيع ، فقد جاهد فى حدود طاقته جهاد الرجال ، ومن كان كذلك فهو جدير بكل ثناء .

(١) الرحلة الثانية محاولة أراد بها المويلحى تصوير المدنية الغربية ، ولـكنه أخفق

التحرش بالأزهريين

والمويلحى لا يكفّ عن التنديد بالعقلية الأزهرية ، فما تعليل هذه النزعة عند ذلك الأديب ؟

يرجع السبب إلى أن انقسام المتعلمين إلى معمّمين ومطربشين كان فى عهد المويلحى فتنة تثور بين طبقتين ... كان المطربَشون يرون أنفسهم طلائع الجيل الجديد ، وكان المعممون يرون أنفسهم حُماة الدين الحنيف ... وكانت الدولة نفسها لا تُسند المناصب الإدارية لغير المطربشين ، بحجة أنهم أعرف بالأنظمة المدنية ، وأقدر على سياسة الناس ... وهل ننسى أن منصب الوزير عرض على الشيخ محمد عبده فرفضه بإباء ، لأن من عرضوا عليه ذلك المنصب دعوه إلى خلع العمامة ولبس الطربوش ؟

كانت الفتنة قائمة بين هاتين الطبقتين ، وكان من العسير أن توجد بينهما صلات خالية من شوائب التحاسد المستور أو المكشوف . ولتلك الفتنة عقابيل باقية إلى اليوم . ولا موجب للتفصيل !

هذا هو السبب فى حرص المويلحى على التنديد بالأزهريين ، وهو أيضاً السبب فى أنه هادَنَهم بعد انقطاع أسباب الشقاق .

ولكن كيف ؟

قلت إن الطبعة الأخيرة هى الطبعة الرابعة ، وأنا لم أقرأ هذا الكتاب إلا فى الطبعة الثانية ، وقد ظهرت منذ أكثر من ربع قرن ، ومع هذا بقيت فى ذاكرتى منها أشياء لم أجدها فى الطبعة الأخيرة . وبرغم ضيق الوقت عن مراجعة الطبعة الأولى أو الثانية فأنا أذكر جيداً أن « عيسى بن هشام » مضى مع « الباشا » لزيارة الأزهر الشريف ، وأذكر أنهما سمعا الأزهريين يتحاورون ويتجادلون فى بدعة إصدار الجرائد والمجلات ، وانتهى الرأى إلى أن الأزهرى يستطيع أن يكون صحفيًّا إن أراد ، وقرأ أحدهم مقالة نشرها أحد الأزهريين ، وهى مقالة افتعلها المويلحى ، فقد كانت فيما أذكر غاية فى الركاكة والإسفاف ، على نحو ما صنع وهو يفتعل ما يُلقى فى الأعراس من الخطب الرنانة والقصائد الجياد ! !

فكيف استجاز المويلحى أن ينال كتابه بالتعديل فيما يتصل بحياة الأزهريين ؟

كان ذلك لأنه أراد أن يقرَّر كتابه للمطالعة فى المدارس الثانوية ، وكان يعلم أن المفتشين الذين يحكمون لكتابه أو عليه هم فى الأصل أزهريون ، ومن الحزم أن يتقى شرهم بحذف ذلك الحديث ... وآفةُ الأدب أن يعرِّض للمنافع ، وأن تراعى فيه خواطر بعض الناس

وإذن يكون من الحزم — ونحن نؤرخ الحياة الأدبية والاجتماعية — أن نقرر أن الطبعات القديمة من هذا الكتاب هى الأساس فى تصوير ما سماه المويلحى « فترة من الزمن » ، بدون مبالاة للمجاملات اليومية على حساب التاريخ .

صفحات تعليمية

فى الكتاب صفحات أريدَ بها التعليم ، أعنى أن المؤلف أراد بها شرح ما جدّ فى مصر من الأنظمة واللوائح والقوانين ، فما منهاجه المختار فى الشرح ؟

هو يشرح وينقد ، يشرح أموراً وينقد أموراً كانت لعهده تحتاج إلى إيضاح مصحوب بالاعتراض ، كالذى وقع فى الصفحات ٤١ و ٤٢ و ٤٣ ، وهو يفصّل أنواع المحاكم بهذه البلاد

يحدثنا المؤلف أن مفتى نظارة الحقانية — وزارة العدل — أقسم الأيمان المغلّظة أن القانون الفرنسى غير مخالف للشرع الإسلامى ، مع أنه لا يعاقب على الفسق إن تجاوز عمر الفسوق به الثانية عشرة بيوم واحد[1] ومع أنه لا يعاقب من يزنى بأمّه إذا هى رضيت وكانت غير متزوجة ، ومع أنه يعدّ الأخ مجرماً جانياً إذا تعرض للمدافعة عن أخته ، ولا يعطى حق الدفاع لغير الزوج ، ومع أنه يقبل شهادة المرأة الواحدة على الرجل ، ولا يعاقب الزوج إذا سرق من امرأته ولا المرأة من زوجها ولا الولد من أبيه ولا الأب من ابنه[2]

ويتكلم المؤلف عن المجالس التأديبية ، فنعرف منه أنها خاصة بعقاب الموظف الذى يخل بتأدية وظيفته ، وأنها فى الغالب تتألف من رؤسائه الذين يتهمونه ظالمين أو عادلين

أما حُكم المؤلف على المحاكم القنصلية فلا يخففه غير الاطمئنان إلى ذهاب عهد الامتيازات الأجنبية

(١) ضاق الوقت عن مراجعة هذه المادة من القانون الفرنسى ، وأنا أجزم بأن المؤلف أخطأ فى تقدير السن ، ولعل الأمر كان على هذه الصورة فى ذلك العهد

(٢) هى أحكام صحيحة من الوجهة القانونية ، ولكنها فاسدة من الوجهة الأخلاقية

عودة إلى تحفة الأستاذ على طه

أرواح وأشـــباح

للأستاذ محمد توحيد السلحدار بك

— ٢ —

فرض الشاعر بمخيلته القادرة أن الأرواح المجردة تتكلم ، فى السماء ، عن البشر وغرزتهم فى الأرض . وهذا يُعتبر فرضاً فنياً يزيد فى فهم القارىء وضوح الفرق ، فى تكافح الروح والجسد ، بين نزعتها العلوية السماوية ونزعته السفلية الأرضية . وهو أيضاً خيال أدخل فى الصنيع البديع عنصراً مُخففاً من عناصر الملاحم : لأن إيجاد الخوارق فيها — بإدخال كائنات فائقة قوى الطبيعة فى حوادثها — كان أمراً جوهرياً ، ثم أصبحت الخوارق مُحَسِّنا اختياريا يراعى فيه احتمال الذوق العصرى . وكأن هذا الخيال اتفاق أدبى مضمر بين الشاعر وقرائه ، كالاتفاق الروائى(١) الضمنى فى الروايات ، بين المؤلف والنظارة : كأنهم اتفقوا معه على التسليم بالفرض الأول فى روايته ، ليضحكهم أو يبكيهم بما بنى عليه من مواقف ، وبما أنطق فيها أبطاله من كلام

واختار الشاعر من أسماء الأساطير الإغريقية أسماء لأبطاله ؛ وهو اختيار موفق لما تشير إليه هذه الأسماء — بتداعى المعانى فى ذهن القارىء — من أن القصص يصف غريزة الإنسان وأخلاقه من ماض بعيد ؛ ولأن أسماء أهل الفنون أليق بملحمة فيها كلام على الفنان وعلاقته بالمرأة . وفى اختيار تلك الأسماء القديمة مزية أخرى : فقد حسن وجودها فى هذه اللحمة من حيث أن العتيق أشعر من الحديث ، كالسيف ما زال أحب فى الشعر من المدفع . فما ظنك بمن لم يجد أسماء عربية تجمع مزايا تلك الأسماء الإغريقية ، وتَحسُن حسنها إن حلت محلها فى اللحمة ، فودّ لو أن الشاعر تبدّل بها أرقاماً فى شعره ولم يضيّع دلالتها على شخصيات معروفة فى الأساطير أو التاريخ !

واتهم شاعرنا الغريزة فى الأشباح ، وبرأ الأرواح المجردة . فالأرواح ذوات الأسماء الإغريقية تتكلم فى العالم العلوى طليقة من قيود أشباحها ، تتكلم قبيل بعثها بما يصف سجايا الفنانين الآدميين وغرائز الإنسان ؛ وفى كلامها أنها حين تهبط فى أشباحها إلى الأرض ، سيعروها ما عرا أرواح البشر :

لنا مثلهم فى غد غشية إذا ما حللنا رحاب الثرى

(١) Convention théâtrale

كلمة إنصاف

كان المويلحى فيما يظهر مفطوراً على حاسّة العدل ، وهى حاسة تميل من الوجهة الشكلية إلى تجسيم العيوب ، وتغفُل أو تتغافل عن مكافأة من يُتهمون وهم أبرياء

أعظمُ ما يجازَى به المتهم البرىء هو الحكم بأنه برىء ، ولم نسمع أن متهماً بريئاً جازاه قاضيه بجائزة تُذهب عنه آفاك المرجفين

لا رجاء فى الدنيا ولا أمل فى الناس ، إن لم يأت يوم يكون فيه حكم البراءة بشيراً بالرفاهية والرخاء

فأين المويلحى من هذه المعانى ؟

ظلمه معاصروه فظلم معاصريه ، والظلمُ بالظلم بنىّ وعدوان

كان المويلحى ابن زمانه ، فلم يهتد إلى فكرة العدل الصحيح ، ولو أنه عقل لأدرك أن المظلوم لا ينبغى له الوقوف فى صفوف الظالمين

لو كان للمويلحى نصيب من الروحانية الصوفية لأدرك أن اضطراب المجتمع المصرىّ عقوبةٌ فرضها التفريط الذى توارثته أجيال عن أجيال ، وعجز عن طبه الدهر والزمان

ونحن فى مصر ، ومصرُ أمةٌ آذت وأوذيت ، وقاتلتْ وقوتلتْ ، فهى إلى الأبد فى عراك وقتال وصيال

ليت المويلحى أدرك هذه المعانى ، وليته فهم أننا نجرجر تاريخاً له فى ضمير الإنسانية جذور وجذوع وفروع

لو عَقَلَ المويلحى لقال فى مصر كلاماً غير الذى قال ولكنه معذور ، لأن « العدل الرسمى » ساقه إلى أن يقول ما يقول

وفى الكلمة الآتية فصل القول فى ذلك الأديب الفنان .

زكى مبارك

وإذا قال ناقد إن لتلك الأرواح أسماء تلازمها دلالاتها على شخصيات أصحابها المعينة فى الخرافات أو الأساطير أو فى التاريخ ، وإن الشاعر أهمل فى قصيدته هذه الدلالات — لأنه لم يدرس الأساطير الإغريقية كما يجب ولم يتفقه اليونانيات ، فإن هذا القول اللطيف ليس يمنع أنها أسماء أناس كانوا من البشر ، ماعدا هرميسَ (هِرْمَسْ) ، ولم يكونوا من أنصاف الآلهة ولا من الآلهة اليونانيين الذين خلقهم بشر ؛ ولا يمنع أن منطق هذه التحفة يقتضى ألا تظل أرواحهم فى السماء على حالها فى حياتهم الأرضية الغابرة من الانقياد الكلى للغريزة والشهوات الحسية .

ومع أن هذه اللحمة — في رأينا - إنسانية لا إغريقية ، فإن كلام أبطالها متصل بدلالة أسمائهم المعروفة . فهرميس الذى يقود الأرواح ، فى الأساطير ، يقود هنا روح الشاعر . وروح بليتيس ، البريئة فى السماء ، لا تكون بحالها يوم كانت حبيسة فى شبحها على الأرض ، أو بحالها يوم تبعث ؛ لكن تَمَّ ذكريات من ماضيها الأرضى وماضى سافو فى مثل قولها :

حمت رقة الجنس ربانه   فليس بهما حاجة للرجال
لكل اثنتين هوى واحد   تَلاقى على صِرّه مهجتان

وفى إجابة تاييس :

حديثك إن لم يكن بدعة   لخمر جرى فى قديم الزمان
وصيحة مخفقة فى الهوى   معربدةالروح سكرىاللسان

أما غضب بليتيس وصاحبتيها من أن روح الشاعر مرَّ أمامهن ورآهن فأعرض عنهن « ولم يحيِّ السماء » ، فهو غضب ليس يُعَد من « كبرياء النساء » فى شىء ، والكبرياء عظمة وتجبر ، وإنما هذا الغضب ثورة على إهانة . وإن امرأة ما من أقل النساء عفة وأكثرهن استهتاراً واستسلاماً للشهوات ، وانهماكاً فى الملذات ، لتغضب من تغافل رجل عنها ؛ وقد تتظاهر بالإعراض عن رجل لِتُوقعه فى شركها . وروح تاييس ألهمتها الذكريات الأرضية اعتراضها على صاحبتيها اعتراضاً يشف عن حقيقة أمرهن جميعاً بقولها فى الرجال :

إذا خلت الأرض من طيرهم   فمن ذا يحيى الجمال القسيم
ومن يطلق الحب من وكره   على خطرات الغناء الرخيم

وفيمَ نرقِّش هذا الجناح   ونصقله ببنان النعيم

بقيت سافو (سفُّون) ؛ فهل كانت حسِّية بالمعنى الشائع ؟ أليس فى مؤلفات الذين استوعبوا دراسة اليونانيات رأى آخر أوفى تحقيقاً ؟ بلى ، وهذه هى خلاصته :

إن سافو[1] اتُّهمت فى أخلاقها ، لكن يبدو أن أخلاقها كانت سليمة . ويجب أن نلاحظ أنها من قوم إيوليين[2] ، كان نساؤهم كنساء الدوريين[3] أكثر حرية من نساء الإيونيين[4] الذين كانوا يحجرونهن فى الحريم : فإن هذه المغايرة تعلل ما لمؤلفى الملاهى الأثينيين من دعابات سيئة القصد ، وتعلل تلك الأقاويل المنحولة فى سيرة سافو . ويجب أيضاً ألا يغرب عن الخاطر أن الإغريق فى ذلك العهد ما كانوا وصلوا إلى معرفة التميز فى الأدب بين الهوى الحسى والهوى العذرى ؛ ولكن لا صلة بين اللذة الحسية التى يصفها الشعر المنسوب خطأ إلى أنا كريون[5] وبين لاعج الغرام الذى تعبِّر عنه سافو فى القليل الموجود من شعرها

وبالنظر إلى هذا الرأى ، إن لم يكن بالنظر إلى أن اللحمة إنسانية لا إغريقية ، وأن أحوال أبطالها تختلف فى السماء عنها فى الأرض ، جاز لشاعرنا أن يجعل روح سافو فى السماء أهدأ منها فى تلك القصة المأثورة عنها ، ولا غرابة فى أن تقول :

رأيت الرجولة كل الجمال   هو الرجل الفرد فى الزدحم
ويحدو العذارى إلى دارهن   حيَّ الخطى موسوى القدم

(١) شعرها يقع بين ٦٣٠ و ٥٧٠ ق . م

(٢) Les Eoliens : الأيوليون هم سكان إيولى Eolie ، وهى قطر قديم من آسية الصغرى ، كان بين إقليم فى شماله، عاصمته طروادة Troie ، وبين إقليم فى الجنوب كان يبتدئ من خليج أزمير ويسمى إيونى Ionie وهؤلاء الايوليون قبيلة إغريقية طردها الدوريون من شبه جزيرة البيلوبونيز Péloponnèse فاستوطنوا إيولى

(٣) Les Doriens : الدوريون هم سكان الدوريد La Doride ، وهى قطر قديم فى جنوب تساليا La Thessalie وقد فتحوا البيلوبونيز وأسسوا فيه إسبرطة

(٤) Les Ioniens : الأيونيون هم سكان إيونى الآنف ذكرها

(٥) Anacréon : شاعر إغريقى (٥٦٠ — ٤٧٨ ق . م) نسب إليه خطأ شعر غنائى قيل بعد عهده بزمن طويل وفيه مدح اللذة الحسية .

كلا ، إن الشاعر لم يهمل تلك الدلالات التي يغلو بإيجاب مراعاتها المغالون في الإعجاب بمبلغ دراستهم لليونانيات .

فأولئك حوريات في السماء غضبن على الشاعر فاتهمنه في غريزته وفنه . لكن هرميس إله البلاغة ومبتكر الفنون عطفهن معتذراً عنه بأنه رآهن في قلبه ، وحيّا بقلبه وأطبق ناظريه على ما فيه ضنًّا بلألاء جمالهن . ودنا منهن روح الشاعر في شبحه قُبَيْل بعثهن فأعجبن بالرجل : استملت بليتيس صدره وجبينه مستجملة سائلة : أمِنْ حمأ الأرض هذا الجبين ؟ فأجاب هرميس : دعي طيفه وانظري روحه . فسألت متجاهلة : هل الرجل الروح ؟ فأجابت تاييس : إنه محيا وعينان ! فقالت سافو : ما في الرجال سوى كل أصيد سبط القوام :

ذراعاه تستدرجان الخصور   وفي شفتيه حديث الغرام

فصاح هرميس مسيئاً بهن الظن : تنزهت عالي ! أينطق فيك روح بهذا الكلم ! لقد سبى السحر أجمل أرواح السماء ! فقال صوت السماء : بل البعث آذنهن الفداء ، وهي الآدمية طافت بهن ، فلا تلحهن ولا تَلُمْ . وغضبُ الحوريات حيلة من ناظم الملحمة جعلتهن يُظهرن شرفهن أو سموهن الروحاني ، وينعين على الفنان غريزته وأثرها في فنه أو انحطاطه الجسدي ؛ وهي حيلة أثبتت مهارة الشاعر الفنية ، ولا سيما أنه نجح بها أولاً في شغلهن بمحاورة وصفت ما أراد . شغلهن حديث الفن في السماء ، وكان الفن يشغلهن في حياتهن الأرضية . وغضبن على الفنان الرجل ، لكن ما لبثن أن رضين عنه وتهافتن عليه في نزعة إلى الحسيات ، فلم تضيع الصلة بينهن وبين تلك الدلالات العزيزة ، وبدا طبعهن في حالي السخط والرضى ، وأثرهما واحد في كل البشر وإن اختلفت درجاته ، فهو لا يضر وحدة الشخصية في ذوات الأسماء الإغريقية ، لأنهن في الحقيقة يمثلن النساء لا الملائكة

وعندنا أن الشاعر لم يتخذ من الأساطير مادة شعره ، وإن اختار منها أسماء ، وإنما نحت شعره كله من صميم الحياة الإنسانية بالروح والجسد والغريزة جميعاً على ما يتبين في صنيعه ، فلم يكن عليه أن يتقيد بدلالة تلك الأسماء .

وتقرير هذه الحقيقة ، بعد ما تقدم ذكره هنا وفي المقالة السابقة ، تقرير واجب ، إذ ليس يجوز التساهل في فهم المادة التي صدر عنها خيال الشاعر

ما القول إذن في البيانات النثرية الوجيزة الواردة قبل القصيدة عن أصحاب تلك الأسماء ؟

الجواب قريب : فهي في نظرنا بيانات تذكر بأنهم كانوا من أهل الفنون ، ليكون كلام أرواحهم في الفن وأهله ، والقلب وشأنه ، والإنسان وغرائزه وخلاله ، أحسن وقعاً في النفس . وجمالك أيها القارئ الكريم ألا تخدع نفسك بهذه البيانات . أما الذين يتبحرون في العلم بالأساطير واليونانيات فقد يأخذهم الوجد بها حتى يُصبح هجيراهم التشبث بدلالة تلك الأسماء ، كلما صادفتهم في أدب أيا كان وجهه

والبيانات النثرية الأخرى أيضاً تُذكر بمضمونها لكي يسهل فهم الإشارة في الملحمة إلى السامري وموسى ، وماناً وهاواي ، وغير ذلك ؛ وذكر آدم وحواء في القصيدة فيه كذلك إشارة ضمنية إلى براءة الروح لبراءتهما قبل الخطيئة في الجنّة ، وهو رمز إلى الرجل والمرأة وخطاياهما في كفاح الأرواح والأشباح البشرية ، ولم يُذكرا لإيراد قصتهما المعروفة الحبيسة في المعتقدات الدينية

(البقية في العدد القادم)

محمد توحيد السلحدار

الأزهر والإمام محمد عبده

للدكتور محمد البهي

... أليس من العجب أن يكون من أبناء الأزهر من بعث إلى أوربا باسم محمد عبده ، ثم لا يكون الأزهر معنياً بتاريخ محمد عبده وأفكار محمد عبده ؟...

إحدى الملاحظات التي ساقها الأستاذ الفاضل (م ...) فى عدد الرسالة ٤٨٢ الصادر فى ١٧ رمضان سنة ١٣٦١هـ تحت عنوان ذكرى الأستاذ الزنكلونى .

إن الإمام محمد عبده والأستاذ الزنكلونى لم يكونا للأزهر وحده ولا شك ؛ وإن الأزهريين لم يعرفوا محمد عبده والزنكلونى وأمثالها ولا شك . ولهذا إذا لم يذكروا محمد عبده ولم يذكروا الزنكلونى لا يعود عدم ذكرهما إلى إهمال أو إلى نكران الجميل .

الأزهريون لم يعرفوا محمد عبده ، لا لأنهم لم يريدوا أن يعرفوه ، أو لأنهم أرادوا أن يعرفوه فخفى عليهم ، بل لأنهم دفعوا إلى عدم معرفته ودفعوا أيضاً إلى استمرارهم على عدم معرفته . فقد شاع عن محمد عبده أنه شاذ وأنه خارج ... وأخيراً شاع عنه أنه حر . وشاع كل هذا عن محمد عبده لأنه كان يكتب ، وكان يفكر ، وكان يتفلسف ، ولأنه أراد أن يكون من الأمة ، وأراد أن تسمع الأمة لأزهره وأن تسترشد بإسلامه فى قضاياها ، فى تثقيفها ، وفى تسوية مشاكلها الاجتماعية والقومية ، بينما كان الأزهريون فى وقته يقرأون فقط ، وينقلون فقط ، ويقلدون فقط ، ويتبعون فحسب ، وبينما كانوا يؤثرون العزلة ويؤثرون المحافظة على الأوضاع التى سبقوا بها فى القضاء والتهذيب على رغم تجدد الزمن وتعقد مشاكل الإنسان تبعاً لعوامل التطور المختلفة .

محمد عبده — أصاب أم أخطأ — كان فى طرف ، والأزهريون — أصابوا أم أخطأوا — كانوا أيضاً فى طرف مقابل له . ولو كان الفكر الفلسفى هو السائد فى التوجيه العقلى أيام محمد عبده لعرف محمد عبده وارتفعت الهوة بينه وبين الأزهريين فى زمن وجيز . لأن الفكر الفلسفى هو التأمل قبل إصدار الحكم ، والروية فى ربط الأسباب بالمسببات ، وحرمان العاطفة — أياً كانت عواملها أو أياً كان لونها — من التدخل فى قضاء العقل . ولكن التقليد هو الذى كانت له السيطرة على العمل العقلى الأزهرى ، وبقى أيضاً مسيطرا بعد وفاة محمد عبده ، ولم تزل كفته هى الراجحة الآن

وإذا كانت السيطرة للتقليد فى توجيه جماعة من الجماعات ، وفى عملها العقلى ، لا يتحدث المؤرخ النفسى للجماعة عن إرادتها أو عن عدم إرادتها ، بل عن دفع وانسياق فى اتجاه معين محدود

نعم إن محمد عبده كان له تلاميذ من الأزهريين ، وله منهم الآن عدد غير قليل - وإن اختلفوا فى الإيمان بفكرته درجات - ومع ذلك لم يعرف محمد عبده من الأزهريين تمام المعرفة حتى يرددوا فكرته ويخلدوا فى نفوسهم ذكراه ؛ لأن اللحظة التى يعرف فيها محمد عبده هى اللحظة التى يتم فيها تحويل الجامع الأزهر إلى جامعة ؛ وهى اللحظة التى ترتفع فيها قيمة الفكر الفلسفى لدى الأزهريين أنفسهم فى البحوث العلمية وفى التفكير الأزهرى

ولهذا ليس من العجيب ألا يكون الذى فكر فى إرسال بعوث أزهرية إلى أوربا باسم محمد عبده من الأزهريين . فعبد السلام الشاذلى باشا هو الذى فكر فى تخليد ذكرى محمد عبده ، وهو الذى أرسل باسم محمد عبده بعثة من الأزهر إلى أوربا على نفقة مجلس مديرية البحيرة ، وهو الذى عمل على ربط ما للشرق الإسلامى من ثقافة عقلية وتاريخية بما للغرب من إنتاج عقلى منذ العصر الذى طرح فيه سلطة التقليد وهو عصر النهضة . وهو من أجل هذا قد ساهم فى تكوين عنصر من المثقفين داخل البيئة المصرية يجمع بين ما للعنصر الشرقى المحض وما للعنصر المدنى الآخر من مزايا ؛ يضم إلى تراثه الشرقى الماضى ما يتلاءم من نتاج الغربيين

و « ليس من العجيب كذلك ألا يكون الأزهر معنياً بتاريخ محمد عبده وأفكار محمد عبده » . لأن الأزهر إنما يعنى بتاريخ محمد عبده وأفكار محمد عبده إذا تمت معرفته لمحمد عبده . وليس تمام معرفته بسرد تاريخه أو التحدث عن أفكاره ، وإنما يكون أولاً بتهيئة العقلية الأزهرية لقبول محمد عبده وأمثال محمد عبده ، وذلك بإبراز مزايا التفكير الفلسفي وسط البيئة الأزهرية ، فإذا اتضحت هذه المزايا لدى العقل الأزهري عرف محمد عبده من نفسه ؛ لأن إنتاج محمد عبده أكثر شبهاً بإنتاج ديكارت . كل منهما قصد إلى التوجيه أكثر من محاولة الابتكار في الفكرة والرأي . فمحمد عبده نادى بألا يكون للتقليد سلطان على التفكير في حياتنا العقلية ؛ وديكارت أقام منهجه في البحث على إبعاد السلطات التي كانت تهيمن في وقته وقبل وقته على التفكير الأوربي وهي كلها مظاهر لشيء واحد ، هو التقليد

وليس لنا أن نيأس من قرب الزمن الذي يتمكن فيه الفكر الفلسفي من نفوس الأزهريين ، على رغم أننا نعرف أن ممن يشرفون على التوجيه العلمي في الأزهر من يحاول أن يفهم أن الفلسفة مادة ، وأنها يجب أن تخضع في بحوثها إلى المنقول أو إلى التقاليد ، أو على الأقل يجب أن تؤمن في بحوثها الميتافيزيكية بسلطان بعض المؤلفين في العقيدة ، لهم صبغتهم الحزبية في كتبهم المذهبية — لأنه من الشيوخ المحبب إلى نفوسهم ترديد معارف الماضي فحسب ، والوقوف في دائرتها دون مجاوزتها إلى الحاضر ، بل من هؤلاء الذين لا يزالون شديدي النفرة من اسم الحاضر ، ومعارف الحاضر ، ورجال الحاضر — ليس لنا أن نيأس لأنه يوجد في الصف الأول في قيادة التفكير الأزهري أمثال : المراغي وعبد المجيد سليم وشلتوت ... ثم من ورائهم الشبان الأزهريون

حقاً ، فيه رغبة قوية من الشبان الأزهريين في تعرف محمد عبده ومشايخ محمد عبده وتلاميذ محمد عبده ممن تتكون منهم المدرسة الجديدة في الإصلاح الديني والتفكير العلمي ، ولكن مع ذلك ، ليس من السهل أن تلقى عليهم أفكار محمد عبده ، أو جمال الدين الأفغاني ، أو أمثال الزنكلوني ، قبل أن نهيئ هؤلاء الشبان ونزيل من نفوسهم ، أو على الأقل نضعف عندهم ما تكوّن من عقيدة ضد محمد عبده ، منذ أن درست لهم « السنوسية » ، وقرئ عليهم تفسير « الخازن »

من الخير للأزهريين أن تتم معرفتهم بمحمد عبده ؛ ومن الخير للشبان الأزهريين — على الخصوص — أن يعلموا من هو محمد عبده كقائد وإمام في الحركات الإصلاحية الدينية والعلمية والقومية ، وأن يعلموا من هو محمد عبده في المحافظة على الكرامة الشخصية والكرامة الدينية ، وأن يعلموا من هو محمد عبده في عزلته إذا اعتزل ، وفي تقديره للأفراد والجماعات إذا اتصل واختلط ؟

من الخير للاسلام ولمستقبل الدين أن يعرف الأزهريون دينهم كما عرفه محمد عبده ، وأن يفهموه عقيدةً ونظرةً في الحياة لا أن يميلوا به إلى حرفة ومهنة لطائفة

ومن الخير للأمة المصرية أن يعرف الأزهريون محمد عبده ؛ ومن الخير للدولة المصرية إذا ابتغت انسجاماً داخل الأمة المصرية ، أو على الأقل قرباً في التفكير المصري والعقلية المصرية أن تنشئ باسم محمد عبده كرسيًّا في الأزهر كما تعمل على إنشائه في جامعة فؤاد الأول

وأخيراً أقول للأستاذ الفاضل (م ...) : إن من بعثوا إلى أوربا باسم محمد عبده لم يهملوا محمد عبده في عملهم العلمي ؛ فقد بدأتُ التعريف بمحمد عبده في الحياة الجامعية الألمانية بعقد موازنة بين نظرته إلى الإسلام ونظرة هيجل إليه في رسالة صغيرة ؛ ثم كتبت عنه رسالة الدكتوراه في جامعة هامبرج . وهنا في أزهرهم لم يهملوه أيضاً . وإنما رأوا مهمتهم أولاً وبالذات في التوجيه ، إذ فيه الضمان الكافي لقبول تاريخ محمد عبده ، وأفكار محمد عبده ، وبالتالي للتعريف بمحمد عبده

محمد البهي

يوم من أيام دمشق الخالدة

وفاة الإمام ابن تيمية

في ٢٠ ذي القعدة سنة ٧٢٨ هـ

للأستاذ أحمد رمزي بك

قنصل مصر العام في سورية ولبنان

[بقية ما نشر في العدد الماضي]

— ٣ —

لم يكن ثبات القلعة بدمشق وعودة الجند لنزيلا القلق من النفوس ، فقد أقسم عاهل التتار هذه المرة أن يملك الشام ويفتح مصر عَنوة ، وملأ الدنيا بإشاعاته والناس أشد ما يكونون ذعراً ؛ كل هذا وابن تيمية لا يبالي ، يقعد بمجلسه كالعادة في الجامع يحرض الناس كل يوم على القتال ، ويسوق الآيات والأحاديث الواردة في هذا المعنى ، ويحرم الفرار ويرغب الناس في إنفاق الأموال ، وأن ما ينفق في الهجرة إذا أنفق في سبيل الله كان خيراً

اضطرت السلطات إزاء هذه الهجرة نحو مصر والكرك والشوبك أن تمنع الخروج بغير ترخيص خاص ، وكانت الأنباء قد وصلت بوصول التتار إلى الشمال مرة أخرى ، وتراجع جند الممالك الحلبية ، ثم نزلت الأمطار فأعاقت السير إلى الجنوب وإلى الشمال

— ٤ —

كان موقفاً رائماً فذّاً في التاريخ أقرأه ونفسي تضطرب حينما خرج الشيخ في صباح السبت من مستهل جمادى الأولى سنة ٧٠٠ هجرية وقابل نائب الشام بالمرج فواجه الجنود وثبتهم وقوّى جأشهم وطيب قلوبهم ووعدهم بالنصر والظفر على الأعداء وتلا قوله تعالى : « ومن عاقب بمثل ما عوقب به ، ثم بُغي عليه ، لينصرنه الله إن الله غفور رحيم »

وبات ليلته وسط العسكر وهم يحيون هذه الروح التي وضعوا آمالهم فيها

أتدرى ماذا يطلب منه أمير الشام ونائب السلطنة فيها ؟ يطلب إليه أن يركب على البريد إلي مصر ليستحث السلطان على المجيء إليهم . ويسوق الشيخ على خيل البريد إلى القاهرة ، وهو أينما يحل يستحث الناس إلى المبادرة

أقام الشيخ في قلعة مصر ثمانية أيام ، وقد اجتمع بالسلطان والوزير وأعيان الدولة فأجابوه إلى الخروج ، وكان فيما قاله لهم : « إن كنتم أعرضتم عن الشام وحمايته ، أقمنا له سلطاناً يحوطه ويحميه — لو أنكم لستم حكام الشام ولا ملوكه واستنصركم أهله وجب عليكم نصره — فكيف وأنتم حكامه وسلاطينه وأنتم مسئولون عنه ؟ »

ثم عاد كما أتى على البريد من مصر ، وقد أدى أمانته ونفخ في النفوس روحاً للكفاح جديدة

— ٥ —

استمر المد والجزر بين الفريقين والرسل تتوالى إلى أن دخلت سنة ٧٠٢ هجرية ؛ وقد قدم جيش مصر وعلى رأسه الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير ، وزحف التتار من جهتين من الشمال فوصلوا إلى البقاع واحتلوا بعلبك ، ومن الشرق وصلت طلائعهم القريتين . كل هذا والتتار لا يعلمون بقدوم السلطان من مصر . ولما وصل دمشق قرر أن يكون المصاف في جنوب دمشق بقرية شقحب ، وأتم التعبئة والحشود ومشى السلطان والخليفة بجانبه ومعهما القراء يتلون القرآن ، ويحثون على الجهاد ، ويشوقون إلى الجنة .

في هذا الموقف العصيب يقوم الطابور الخامس بدعايته فيقول : كيف تحاربون قوماً أسلموا وهم إخوان لكم ؟ وهنا برز الشيخ بقوته ومضاء فكره فألهمه المولى هذه العبارة :

« هؤلاء من جنس الخوارج الذين خرجوا على عليّ وعلى معاوية ورأوا أنهم أحق بالأمر منهما . وهؤلاء يزعمون أنهم أحق بإقامة الحق من المسلمين ويعيبون على الناس ما هم فيه من المعاصي والظلم ، ولكنهم متلبسون بما هو أعظم منه بأضعاف مضاعفة ، والله لو رأيتموني من ذلك الجانب وعلى رأسي مصحف فاقتلوني » فقويت النفوس وانقطعت دعاية الضلال .

فلما تم الترتيب أخذت كراديس التتار تزحف كقطع الليل والتحم القتال على طول الجبهة قتالاً هائلاً رائماً بيعت فيه النفوس بغير حساب . كل هذا والجاشنكير يسيطر على المعركة بجند مصر

والشام . وهنا مال قطلوشاه القائد التترى إلى جبل قريب ونظر إلى السهل والجبال المحيطة فإذا الميسرة السلطانية ثابتة لا تتزعزع ، والأعلام خافقة . وجيء إليه بأحد الأسرى فسأله من أنت ؟ فقال من أمراء مصر . فعلم بأنه قد خسر المعركة .

معركة فاصلة دامت أربعة أيام أظهرت فن القيادة والتعبئة لدى القواد المصريين والشوام ، واختتمت بالنصر الباهر الذى نفخ فيه ابن تيمية من روحه .

وقبل اختتامها حاول قطلوشاه للمرة الأخيرة أن يجازف فقذف بمـا بقى لديه من جنده فرساناً ومشاة . وقد ترجل الخيالة فلقيتهم المماليك السلطانية من البرجية بسور من الفولاذ مزقهم شر ممزق وحلت بهم الهزيمة فانتشروا منهزمين إلى القريتين وقد تتبعهم العامة وتقهقر قائدهم عائداً إلى بلاده فلم يعبر الفرات إلا فى شرذمة قليلة من هذا الجيش اللجب الذى عبأ لفتح مصر والشام .

وبات السلطان بالكسوة ثم دخل دمشق وقد فتحت قلبها وتلقته لقاء الأبطال بعد أن أزال الهم والغمة عنها .

وفى مكان المعركة وبغير غسل ولا كفن جمع من استشهد من أبطالها فدفنوا فى موضع واحد وبنيت عليهم قبة أرجوان تكون باقية إلى اليوم .

وكان الشيخ أول من فرح قلبه لهذا النصر المبين .

— ٦ —

مرت ابتداء من سنة ٧٠٥ سنوات كفاح للشيخ من أجل المبدأ يقارع الأيام وتقارعه ، وتغمره موجة من الدسائس فيخرج منها سالماً ، وتعقد المجالس لامتحان عقيدته فيخرج من هذه المغامرات أحياناً إلى الحرية وحيناً إلى السجن . وطلب إلى مصر ، فلما أزمع السفر ازدحم الناس لوداعه . وفى إبان سفره لم يترك فرصة تمر دون أن يقف واعظاً للناس . ولما وصل القاهرة واجتمع له العلماء واختلف معهم أدخل فى أحد أبراج القلعة وبقى بها محبوساً . وكلما نجحت محاولة لإخراجه أبى إلا أن يبقى ، والناس تقصده وترسل إليه المشكل من الأمور لاستفتائه فيه

— ٧ —

انتقل ابن تيمية إلى الثغر الأسكندرى فى صفر سنة ٨٠٩ بصحبة أمير من الأمراء فأدخل فى دار السلطان وأنزل فى برج فسيح منها . ووصلت أخباره إلى دمشق بعد عشرة أيام من سفره من القاهرة ، فقلقت الخواطر عليه وتألم أنصاره وخافوا سطوة أعدائه الذين عقدوا النية على النيل منه . وكان الشيخ يحضر الجمعات ويقيم الوعظ فيأتى إليه الناس من أهل الإسكندرية أفواجاً ينصتون إليه ويقرأون العلم عليه ، وقد ازدادوا تعلقاً به ومحبة له وتقرباً منه

ووصل إلى دمشق كتاب من أخيه يقول : « ... إن الأخ الكريم قد نزل بالثغر المحروس على نية الرباط فإن أعداء الله قصدوا بذلك أموراً يكيدونه بها . . . وقد انقلب أهل الثغر أجمعون إلى الأخ مقبلين عليه مكرمين له فى وقت ينشر من كتاب الله وسنة رسوله ما تقر به أعين المؤمنين ، ولقد استتاب جماعة منهم واستقر عند عامة المؤمنين وخواصهم من أمير وقاض وفقيه »

ويقول ابن كثير — وهو من المراجع التى اعتمدنا عليهـا مع غيره — : « إن الشيخ أقام بالإسكندرية ثمانية أشهر ، وكان سكنه فى برج متسع مليح نظيف له شباكان أحدهما إلى جهة البحر والآخر إلى جهة المدينة ، وكان ينزل عنده من شاء ويتردد عليه الأكابر والأعيان والفقهاء يقرأون عليه ويستفيدون منه وهو فى أطيب عيش وأشرح صدر »

— ٨ —

دارت الأيام دورتها وعاد الملك الناصر إلى عاصمة ملكه بعد زوال حكم أعدائه ، وكان ذلك فى عيد الفطر المبارك من سنة ٧٠٩ وقد استقبلته فى القاهرة ، وقبل ذلك بدمشق ، دنيا من الأفراح إذ استبشرت العاصمتان بعودة ابن قلاوون إلى ملكه وحيته الجماهير وهتفت له ذلك الهتاف المحبوب : « يا ناصر يا منصور » .

ولم ينس المليك الشاب فى أفراحه الشيخ المجاهد ابن تيمية فأرسل إليه وحضر إلى القلعة معززاً مكرما مبجلاً . وكان قدومه فى ١٨ شوال ، وقد خرج مع الشيخ خلق عظيم من الثغر الإسكندرى يودعونه بالبكاء لتركه مدينتهم . ولمـا دخل على الناصر تلقاه ومشى إليه وأنس به فى محفل كبير جمع قضاة مصر والشام فأصلح السلطان بينه وبينهم . ونزل الشيخ إلى القاهرة وسكن بالقرب من المشهد الحسينى والناس يترددون عليه من الأمراء والجند وهو يقول لكل من يعتذر إليه : « أنا حللت كل من آذانى » ؛ وجدد الشيخ سابق عهده بدمشق ولكن بمدينة القاهرة المعزية — قلب العروبة — فأخذ يقيم حلقات الدروس وبدأ حياة كفاح وجهاد فى سبيل العلم

ذكرى أم كلثوم

للشاعر التركي إبراهيم صبري

[نشرت الرسالة في عددها (٤٨٠) تعريفاً بالشاعر التركي ابراهيم صبري وترجمة لقصيدة من شعره . وهذه القصيدة التي ترجمها صديقه الأستاذ « محمود محمد شاكر » تعطي صورة جديدة من الشعر التركي بل من الشعر التركي في تمربته . وفيها يصف الشاعر ذلك الصوت الشعري السامي الذي يسحر السمع ، ويسبح بالروح في جو ممتد كامتداده ، مرتعش كرعشته ، منتحب كانتحابه : صوت أم كلثوم]

إلى أخي محمود محمد شاكر

انصرفتُ من دعوتك الماضية وقد احتفظت بشعور وإحساس كتب في ذاكرتي هذه الأبيات :

***

كان يوماً بديعاً مِلْؤُه السرور ! وا حسرتا لذلك اليوم ! لقد مضى !

ألوان من الطعام لذيذة اتصلت بموسيقى السِّحر التي فاضت على شفتي أم كلثوم الفاتنة ،

قصيدة وردية من أباريق اللحن انسكبت في أرواحنا .

حين يأخذني سكر الإبداع أجد [illegible]

وتذهب أعصابي في سُبات عميق من فرط ما ثملت .

حينئذ أشعر بعروج خيالي وحده إلى عالم الأرواح

تاركاً على الأرض كل ما هو نقيض لهذا الصوت السماوي .

أراني أصل بخيالي إلى قمر في آفاقه نغم ألحانه من عالم الحور والسحر :

هو ذرة أثيرية أُخرى لا أبعاد لها ، تكوّن هواء ذلك القمر وماءه وأرضه ونوره الشفاف .

إن هذا الصوت ليس للتراب، إنما حقه أن يسمع في السمٰوات .

في مصر التي تشعرك بالبقاء أدوارها التاريخية المديدة

وفي مصر التي يشبه الأهرام فيها صوت أم كلثوم

لا أقف لأستمع بل أُبادر لأنظر وأشاهد .

(ليلى والدهر) في ذلك الصوت كلاهما كومهاء مذهّبة جديرة بالمشاهدة .

في هذا الصوت تتمزق صدور المشاق إرْباً إرباً ،

وكيف لا تتمزق فيه صدور المشاق ، وقد ورث نبيٌّ موسيقار لوعة نايه من هذا الوادي .

وإن حفر البشر الهواء في المستقبل ، فلعلهم يكتشفون في صوتها صوت المزامير .

حين تبدأ تغني ينبعث صوتها كأنه وسوسةٌ ذاتُ ألوانَ من الحباب المنطفئ على النيل الأخضر الذي يجري أمام الشمس [illegible]

ثم إذا بك تراه ينقلب إلى أمواج في بحر تندفع كل موجاته فترتطم على قلب ؛

ثم إذا بك تراه ينتصر على البعد المطلق .

تخال رَجْـع (نواه) آتياً من وراء الفضاء .

هذا الصوت يغرد كتغريد البلبل في الجنة ،

كأنما تفوح منه رائحة ماء الورد وشجرة العود ؛

كأنه نطفة يجري فيها ماء الحياة ، لو انصبت قطرة منها على أجساد الموتى لشعروا بها .

هذا الصوت يمسُّ خدَّ السمع كمنديل من الحرير في كف معطَّرة ،

كم من ناصية قد اعتمدت على هذه اليد الساحرة

تبكي وتنوح ، غارقة في حنانها ،

هذا هو الشيخ الذي يضم عظامه قبر بسيط بفناء الجامعة السورية ، والذي كان يمثل دنيا وحده وكانت شخصيته فذة جديرة بالبحث والدرس

إننا في حاجة إلى أن نستلهم الماضي ونستوحي صفحاته ؛ وابن تيمية رجل من رجال الماضي وشخصيته تطل علينا من وراء القرون

كان ابن تيمية دمشقيًّا مائة في المائة ، وكان مصريًّا مائة في المائة ؛ فهو حلقة الوصل بين البلدين في عصر مضى . وإنني كلما دققت النظر في تاريخه وعمقت التأمل في أقواله أجد نفسي إزاء رجل أقف أمام ذكراه والاحترام يملأ نفسي

والآن في أرض هذه العاصمة الخالدة وفي فناء جامعتها المباركة أقول : « هنا يرقد رجل » .

أحمد رمزي

إلى المعترضين علينـــا

للأب أنستاس مارى الكرملى

[تتمة]

٤ — تتمة كلامنا مع الأستاذ المطار

لا يقال إلا البساتين الغن ، وإلا الدروع الحصد ، وإلا الكريات البيض ، وإلا الدروع الخضر . وأما قول القائل : البساتين الغناء ، والدروع الحصداء ، والكريات البيضاء ، فخطأ ثم خطأ ثم خطأ . اللهم إلا إذا قدّمت على هذه النعوت كلمات منسوبة مفردة مؤنثة ، فيصح حينئذ مثل هذا القول : بساتين عبقرية غناء ، ودروع فارسية خضراء ، وكريات بيضية بيضاء ؛ وهذا القدر كاف لهذا الموضوع اليابس الناشف ، ولا نعود إليه بعد ، بل نحوّل أنظار السائلين إليه ، وهو الهادى إلى الصواب !

٥ — إلى الأستاذ الأفغانى

كنا نود — يا سيدى الكريم الجليل — أن تكلمنى بالعربية ، لأنى عربى وأجدادى من بنى مُراد ، لا بالأفغانية لسان أجدادك أهل الحسب والنسب ... نعم ، إنى كنت قد اجتلبت كتباً أفغانية من باريس ، لأدرس هذه اللغة البديعة لكن الزمان لم يساعدنى على المطالعة ، فبقيت الكتب فى الخزانة من غير أن أنتفع بها إلى اليوم

قلت لى فى نبذتك فى (الرسالة) ١٠ : ٨٦٩ : وقد كتب (أى الأب أنستاس مارى الكرملى) الجملة الأولى بخط عريض وأنا لم أكتب عنوان المقال إلا بالقلم الدقيق كما يمكنك أن تطلب الأصل من صاحب (الرسالة) ليطلعك عليه . أما الذى رسمه بالقلم الريان ، وحضرتك تسميه الخط العريض ، فمن منضّد (الرسالة) ، تزييناً للطبع ولسطور الصفحة ، فلو جعلها كلها بقلم واحد ، لملّت النفس ، ونبا البصر ، وعاف القارىء المطالعة ونبذ الصحيفة من يده . وهذا ما تحققه بنفسك فى جميع نبذ (البريد الأدبى) ... إذن ، ليس المزكزك[1] بأنيثهن

(١) ليس المزكزك بأنيثهن مثل عربى قديم مشهور يضرب فى تساوى القوم فى الشر . راجع أمثال الميدانى للوقوف على تفصيل هذا المثل وسبب ضربه

لذلك ينبعث ترديده منتحباً

وقد لك يحرق كما يحرق البكاء

* * *

حين غربت الشمس — انطفأ اللون الأحمر للرمال المتوهجة فى جوف الصحراء فكأنها استحالت رماداً ،

وتردد فى نفسى صدى النغمة الأخيرة لهذا الصوت فأثار وجدى فقمت للوداع من زاويتى حيث كنت مستغرقاً فى خواطر .

كأن ذا كرتى لم تكن معى

عادت كأنما عادت من وراء أفق بعيد ؛

وكأنها يد وضعت على كتف روحى

وأعادتنى إلى الحقيقة .

تذكرت حينئذ زمناً من الأزمنة الماضية :

اجتمعت ليلة فى بيت صديق ومعنا (سامى)[1]

ما كان أبدع ما غنى من (الغزل) والأصوات !

كيف كوى بها قلوبنا ؟

وكيف امتلأت جفوننا بالدموع ككؤوس خمر ؟

وكيف أصبح شيطان ألحانه ساقياً للعبرات ؟

إذا فاضت دموع التأثر من هذه العيون التى كانت ترسل دموع اللذة فى ذلك الزمن ، فلا بأس !

فإن فى هذه الأرض أصواتاً تجعل الغربة أنساً

وفيها مودتك المخلصة الغالية

ترجمة

محمود محمد شاكر

(١) مطرب تركى

وقلت لى : بخط عريض مذيل ؛ ولم أذيل الخط بشئ ، لعلمى أن ذيل الشئ جعل له ذيلاً ، وذيل الصحيفة كتب شيئاً فى ذيلها زيادة على ما فيها ، وهذا لم أعمله ، ولا أرى هناك ما يؤيد هذا الكلام

وقولك يا سيدى : بخط أفق ، لا ينطق به فصيح ، إنما ينطق به أرباب الهندسة ، وهو من معرب الكلام الحديث ، ورائحة التعبير الأجنبى تفوح منه . وأما ابن الناطق بالضاد ، فيقول : وتحته خط . وأحسن من ذلك أن يقال : وقد رسم بخط ريان (أو عريض ؟) ، وخطاً تحته خطًّا توجيهاً للأنظار .

ثم نقلت ، يا سيدى ، بعض العبارات من المعاجم تأييداً للخطأ وأنه أحسن من الخطاء . والدليل الذى أتيت به هو أن : أرباب الدواوين ذكروا الخطأ المقصور قبل الخطاء الممدود . وهذا برهان ينطق به الأطفال قبل الحلم ، وهل تكون إلى الآن بهذه السن ؟ ألا تعلم يا سيدى أن أرباب كتب متون اللغة يقدمون الكلمة القليلة الأحرف ، على الكلمة الكثيرتها . خذ بيدك أىّ معجم شئت ، وانظر إلى المصادر ، أو إلى الأسماء أيًّا كانت ، تر أن الكلمة القليلة الأحرف مقدمة على غيرها . وكذلك يفعل أهل الحساب فإنهم يقولون : واحد ، اثنان ، ثلاثة ، أربعة ، إلى آخرها .

وأما أن صاحب « الصحاح » ضعّف الحرف الذى « ذكر الأب أنه الصواب دون غيره » فهذا لا يعنى أنه مصيب فيا قال . يا سيدى إنك تعلم أن مؤلف الصحاح خُطِّئ فى كثير من أقواله اللغوية والنحوية ، فكيف تحتج بكلامه ، وتسر كل السرور لكونه نطق بتلك الكلم ؟ وهناك من هو أعلى مقاماً منه وهو صاحب الفروق اللغوية ، أبو هلال العسكرى ، وكان معاصراً للجوهرى ، وقد انتبه لهذه الحقيقة الأستاذ اللوذعى محمد غسان فنقل فى الرسالة (١٠ : ٨٩٢) ما ورد فى ذلك التصنيف المفيد من القال الزارى على اللآل[١]

زد على ذلك أنى أحاول فى كل ما أكتب أن أتأثر أحسن من نطق باللغة المضرية باتفاق شهادة جميع قبائل العرب وجميع أمم الأرض قاطبة ، فانه كان يحب الازدواج والمشاكلة والإمتاع والمجانسة ، فقد قال مثلاً : ارجعن مأجورات غير مأزورات ، مع ما فى مأجورات من الغلط فى نظر بعض حمق اللغويين . فلما قلت الخطاء أردت أن أبين أن ما كتبه الناشران لكتاب الإمتاع فى آخره ، حين كتبا : خطأ وصواب ، كان يحسن بهما أن يقولا : خطاء (بالمد) وصواب ، مجانسة للوزن ، لأن كليهما على وزن سحاب ، فالقارىء يتذوق طيب هذه المشاكلة إذا ما رأى فيها هذه الموازنة

هذا ما أحببت عرضه على العلامة المحقق [الأستاذ الأفغانى] وله إعجابى وتحيتى !

٦ – الى الأستاذ داود حمدان

كتبت يا سيدى فى الرسالة (١٠ : ٨٧٠) مخطئاً قولى : « قال ابن دريد فى الجمهرة : « وبالصاد (أى الخص) أحسبها لغة لبنى تميم ، وهى لغة ابن الغبر خاصة » . كذا فى تاج العروس وهو خطأ أيضاً . والصواب : « وهى لغة بنى العنبر ، إذ لا وجود لابن العنبر » اهـ

فانبريت لى من أقصى اللد وكتبت : « وقد يقال : عدم الجزم بهذه التخطئة أولى ، فبنو الغُبَّر لهم وجود . جاء فى القاموس المحيط فى (فصل الطاء وباب اللام) : وككتاب (أى طحال) كلب وع لبنى الغبر . راجع القاموس المحيط ففيه شاهد لا يليق ذكره . » اهـ

---

(١) ليلاحظ أستاذى الأفغانى أن صاحب الفروق قدم الخطاء الممدود على الخطأ المقصور ، إذ قال : الفرق بين الخطاء والخطأ ، وإنما فعل ذلك لأنه لا يدون كلم معجم ، بل يرمى إلى صحة التعبير وصحة التقديم والتأخير فاعتراض صاحبي لا طعم له ولا ذوق ، ولهذا يحسن به أن يرجع عن كلامه إن كان يتوخى الحق والعدل ، لا الفق والعذل .

قلنا : لو كسرت براعتك المرضوضة ، وألقيت بها فى التنور ، وبقيت ساكتاً إلى أن يفيض التنور ، لكان ذلك أحسن لك ! وأنصحك نصيحة لله : ألا تكتب كلمة قبل أن تتدبرها كل التدبر ثم تعرضها على أصدقائك ، ثم تتأملها ثانية ، وتعرضها على أعدائك ، وحينئذ ابعث بها إلى أصحاب الجرائد والمجلات . وإلا فمثل هذه الخربشة والخربقة لا ترفع قدرك ولا تبقى لك أثراً طيباً !

إنك ياسيدى رأيت فى القاموس أن « طحال كلب و ع لبنى الغبر ... » وضبطت : « الغُبَّر » فى قولك هذا بضم وفتح مشددة فكم من غلط فى كلمة واحدة !

وأول كل شيء ، أن الغبر ، التى ضبطتها ككسكر ، ضبطت فى القاموس المشكول كما ضبطتها . وأما ياقوت الحموى فضبطها فى معجمه : غُبَّر كزُفَر . والغلط الثانى أنه لم يدخل عليها أل ، وكذا ضبطها ابن دريد فى كتاب الاشتقاق ص ٢٠٥ من طبع أوربة قال : « ومن قبائلهم بنو غُبَر بن غَنْم ، وغُبَر فُعَل ، ولم يعرفها باللام هو أيضاً

وضبطها صاحب جزيرة العرب — وهو الحجة العظمى فى هذه المادة « بنو غُبَر » على حد ما ضبطها ياقوت وابن دريد . وعندنا عدة نسخ خطية قديمة من القاموس وكلها تضبطها كزُفَر وبلا لام التعريف . وقد قال صاحب القاموس نفسه فى مادة (غ ب ر) : غبر كزفر ولم يذكر فى ذلك التركيب (غُبَّر) كسكَّر

ثم لو فرضنا أننا صدقنا رواية القاموس الواردة فى مادة طحال ، فمن قال لك إن أولئك السمين بنى الغُبَّر هم أصحاب تلك اللغة أى لغة قلب السين صاداً ؟ وقلنا : « وبالصاد (أى الصويق) وأنت كتبتها (الخص) فما هذه الخربشة ؟ »

نحن نقلنا ما نقلنا وقلنا ما قلنا لا على مجرد الوهم والتخيل ، بل على الحقيقة . فإن الجمهرة لابن دريد مطبوعة فى الهند وما ذكرناه منقول عنها مع بعض الاختلاف هو الوارد فى التاج لكنه قال : « لغة بنى العنبر » لا لغة بنى الغبر . وإن شككت فى ما أقول فما عليك إلا مراجعة الجمهرة فهى فى الأيدى لابتذالها فى الطبع . فما معنى هذا التحكك الذى أظهرته ياسيدى وأنت لا تملك من الكتب ما تؤيد مدعاتك ؟ فبنو الغبر ككسكر لا وجود لهم ولا للغتهم . فإياك إياك يا سيدى العودة إلى هذا الميدان ، فإنه لا يصيبك منه إلا الهوان ، بعد هذا الامتحان !

(تم)

الاب أنستاس مارى الكرملى
أحد أعضاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية

بغداد فى ٢٦ / ٩ / ١٩٤٢

إذهب . . .

للأستاذ على متولى صلاح

إذهبْ فإنّى قد سلوتُ غرامى ومَلكتُ نفسى وانتهتْ آلامى
إذهبْ فقد وضح الصواب ولم أعدْ
عبد الخيال ولا فتى الأحلام
إذهبْ فإنى قد تركتُ عواطفى وجعلتُ عقلى فى الطريق أمامى

***

يا طالما أرسلتُ فيك مدامعى يا طالما شرّدتُ فيك منامى
يا طالما ذقتُ الهوان ولم أكنْ لولاك فى يوم يهون مقامى
صدًّا لقيتُ وذقتُ ألوان الجوى وحملتُ مصطبراً أذى لوّامى
حيران فى أهلى وبين صحابتى أسوان أشكو للنجوم هيامى
الناس من حولى ولستُ أراهمو وأراك فى عقلى وفى أوهامى
والنور فى الأرض العريضة مشرقٌ
لكننى أحيــا بأرض ظلام
والزهر فى عينى مريضٌ ذابلٌ والجدول الرقراق جوف رجام
والشعر فى صدرى ذبيحٌ ميت والنَّوْح صدْحى والبكا أنغامى
حتى كأنَّ الفلك غيَّر نهجه ومحا السطور البيض من أيامى

***

ما ذا رأيتُ ؟ رأيتُ أنك خائنى
ورأيتُ أنك لا تصــون زمامى
ورأيت أنك ساخرٌ بمدامعى ورأيت حبك ليس غير كلام !
فالآن فاذهبْ قد سلوتُ غرامى
والآن فاذهبْ قد مضتْ آلامى
وعلى جمالك من مُحِبٍّ سابقٍ وعلى غرامك ألف ألف سلام

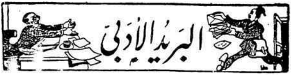
على متولى صلاح

المقــابر . . .

للأســتاذ محمد برهام

وقفت فى حِذر فيها فروعنى ما تبصر العين من صمت وإظلام
تطلعت لى عيون الدوح فى دهش وأنعمت فى خيالى أى إنعام
وعاد يهمس هذا الدوح فى أذنى أركن لقوم ببطن الأرض نوام
تعال مت مثلما ماتوا فسوف غدا
تعل كأس الردى من بحره الطامى
تعال مت ميتة فى العمر واحدة فقد تميتك ألفاً دورة العام
كأس المنية خذها عن طواعية من قبل أن تتلقاها بإرغام
ولم أكد أبصر الأحجار قائمة
والترب يضرب أكواماً بأكوام
حتى نسيت حياة الناس ناحية وعاد عيشى بها أضغاث أحلام
ورحت فى عالم الأموات مبتعداً عن كل باعث أشجان وآلام
يا ليت كان هنا مثوى أقيم به ولا أعود إلى عيشى وأيامى

[عن العبرية] محمد برهام



فى جماعة كبار العلماء : مصادرة كتاب ومؤاخذة عالم

روت البلاغ أن قد عرض على جماعة كبار العلماء فى اجتماعها الأخير التقرير الذى كانت وضعته اللجنة المؤلفة من بعض أصحاب الفضيلة أعضاء الجماعة عن كتاب « رد الدرامى على المريسى » الذى طبعه ونشره وكتب مقدمته الشيخ حامد الفقى من علماء الأزهر الشريف .

وقصة هذا الكتاب ترجع إلى أن أحد كبار العلماء وجد فيه أحاديث شك فى نسبتها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فعرض الكتاب على الجماعة وطلب بحثه فألفت اللجنة السالفة الذكر .

وقد رأت اللجنة فى الكتاب جملة مآخذ خلاصتها أن الأحاديث التى يستند عليها المؤلف فى روايته غير صحيحة ، وأن الكتاب يدعو إلى عقيدة التجسيم للخالق سبحانه وتعالى ، وأن مقدمة الكتاب فيها مآخذ شديدة وطعن على علماء الكلام ، واتهام صريح لهم بأنهم أفسدوا العقائد ببحوثهم والتغالى فيها وزيفوها وخرجوا بها عن سلامتها . وانتهت اللجنة فى تقريرها إلى أن نشر هذا الكتاب وإباحة تداوله هو ترويج لمبادئ باطلة عفى عليها الزمان ، وطلبت مصادرته ومحاسبة ناشره على نشره وعلى ما جاء فى مقدمته من طعن على العلماء خصوصاً وأنه يرأس جماعة إسلامية للدعوة للدين هى جماعة أنصار السنة المحمدية .

وقد طبع هذا التقرير ووزع على أعضاء الجماعة لبحثه . ورأى فضيلة الشيخ محمود شلتوت عضو الجماعة أن يرد عليه فكتب تقريراً وقدمه للجماعة ووزع على الأعضاء وقد عرض فى الاجتماع نفسه . وقد تضمن أن الأحاديث التى طعن فيها والموجودة فى هذا الكتاب لها أصل فى كتب الأحاديث رواها أبو داود وابن كثير ، وكثير من علماء الحديث . وقال عما جاء فى المقدمة من كلمات نابية فى حق علماء الكلام الإسلاميين أن المقصود بها أولئك الذين دخلوا فى الإسلام تظاهراً وهدفهم الأول الإساءة إلى العقائد الإسلامية وتعاليم الإسلام السليمة ، وهذا المعنى يتجلى فى سياق كلام المقدمة ، وضرب الأمثال الكثيرة لذلك

وعلى الجماعة أن تقرر مبدأ بالنسبة لهذا الكتاب وما يوجد من الكتب الأخرى وهو دراسته والرد على ما فيه ؛ وهذا أسلوب القرآن الكريم ؛ فسبحانه جل شأنه ساق آراء المشركين والمعارضين للاسلام وحججهم ودعاويهم وعقب عليها بالرد والتفنيد . وهكذا كان شأن علماء الإسلام الأول يسردون أقوال معارضيهم ويردون عليها . وفى الكتب التى بين أيدينا آراء وأقوال لكثير من الطوائف الإسلامية رد عليها راووها وكان فى هذا تنوير للباحثين والدارسين والوقوف على المزيف منها والسليم .

وقد أفاد هذا الأسلوب ونفع وأوجد ثروة واسعة للمكتبة الإسلامية وأدى إلى الوقوف على الحركات العلمية التى كانت موجودة فى العهود السابقة . ولعل الأزهر لم ينس بعد الموقف الذى كان منه فى سنة ٣٢ إزاء كتاب تاريخ بغداد ومصادرته ثم فك المصادرة عنه .

وانتهى الأستاذ الشيخ شلتوت من تقريره إلى الاقتراح باتباع أسلوب السلف فى حماية العقائد والدين بتفنيد ما يرى أن فيه مساساً بهما والرد عليه وعدم مصادرة الكتاب أو مؤاخذة الناشر على نشره وما جاء فى مقدمته .

فى نسب العبيديين

فى العدد ٤٨٥ من الرسالة كلمة بعنوان (حول نسب الفاطميين) تراءى كاتبها برأى ابن خلدون فى تصديق دعواهم فى نسبهم المخالف لجماهير أهل التحقيق فى التاريخ والأنساب العلوية ، قال ابن خلكان فى ترجمة عبيد الله المهدى : (أهل العلم بالأنساب من المحققين ينكرون دعواهم فى النسب) . وابن خلدون

ليس بأقل خطأ فى رأيه هذا منه فى (العرب والحضارة) و (العرب والعلوم) ، وأغلاطه فى ما دونه من أخبار الشرق غير مجهولة . إلا أن له هنا دافعاً نفسياً أوقعه فى الشذوذ عن الجماعة ، كما نص على ذلك المؤرخ الكبير السخاوى فى كتابه « الإعلان بالتوبيخ » نقلاً عن شيخه الحافظ بن حجر ، وذكر فيه أيضاً سبب شذوذ المقريزى فى ذلك

هذا وردٌّ كل شىء إلى السياسة مضيعة للحقائق ، وليست كلمة « الغاية تبرر الواسطة » سوى قاعدة « مكيفلية » واهية يبرأ منها علماء الإسلام فى جميع العصور . والحكم الذى أصدره كبار الأئمة من علماء بغداد فى تزييف نسب العبيديين وافقهم عليه علماء الأمصار كالقاضى أبى بكر الباقلانى وأبى منصور عبد القاهر التميمى وأبى المظفر الإسفرايني ومؤرخ الإسلام الذهبى وابن تيمية وغيرهم . ومن درس سير أولئك العلماء الذين وقعوا ذلك الحكم استيقن أن أحدهم يفضل الموت على إصدار حكم مخالف للشرع فى نظره . ولم يكن الخليفة يومئذ القادر بالله بقادر على إكراههم على القول بما لا يعتقدونه لأنهم كانوا أهل الحل والعقد فى الدولة مع عظم منازلهم فى الأمة ، على أن القادر بالله لم يوصم فى التاريخ بظلم ولا عدوان بل ذكر بالدين والتقوى .

ومما يدل على بطلان دعواهم فى الانتساب إلى محمد بن إسماعيل ابن جعفر الصادق : أن إسماعيل مات فى حياة والده ، ومحمد لم يعقب كما قال النسابون الثقات على ما هو مبسوط « فى الفرق بين الفرق » وغيره ، فصلتهم بإسماعيل بن جعفر الإمام كصلتهم بالإسلام . وقال ابن طولون فى « اللمعات البرقية فى النكت التاريخية » فى ترجمة الحاكم : وكان هو وأسلافه يدعون الشرف ويقولون : أبونا على وأمنا فاطمة ، كان فى كل أسبوع يقول ذلك على المنبر ، وكانت الرقاع ترفع إليه وهو على المنبر فرفعت إليه رقعة مكتوب فيها هذه الأبيات :

إنا سمعنا نسباً منكراً ... يتلى على المنبر فى الجامع
إن كنت فيما قلته صادقاً ... فانسب لنا نفسك كالطالع
أو كان حقا كلُّ ما تدعى ... فاعدد لنا بعد الأب السابع

وزاد غيره :

أو فدع الأشياء مستورةً ... وادخل بنا فى النسب الواسع

فرماها ولم ينتسب فيما بعد . ولما دخل المعز العبيدى مصر وسُئل عن نسبه سلَّ سيفه وقال « هذا نسبي » ونثر الذهب وقال « وهذا حسبى »

ثم إن الكاتب لو رجع إلى بعض كتب الأصول لعلم أن الأحكام الفقهية مسائل كلية لا جزئية ، فلا وجه لادعاء تأثرها بالظروف والأحوال فضلاً عن ادعاء الحاجة إلى نسخها بالاجتهاد ، وإنما الأحكام الجزئية هى أحكام القضاة فى القضايا الجزئية ؛ ولعل كذلك أن « الأحكام » فى كلمته جمع محلى باللام فيفيد العموم ، فيكون حملها على بعض الأحكام تراجعاً عن نص الدعوى ودلالته . على أن القول بنسخ حكم من أحكام الشرع بعد المصطفى صلى الله عليه وسلم مما لا يعلمه الدين الإسلامى ، ولذلك ترى إجماع الأئمة خلفاً عن سلف على إكفار من يقول بذلك ، كما فى مراتب الإجماع لابن حزم وغيره

محمد الدين شقيرة

مجموعات الرسالة

تباع مجوعات (الرسالة) مجلدة بالأثمان الآتية :
السنة الأولى فى مجلد واحد ٧٠ قرشا ، و ٧٠ قرشاً عن كل سنة من السنوات : الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة والثامنة والتاسعة فى مجلدين . وذلك عدا أجرة البريد وقدره خمسة قروش فى الداخل وعشرة قروش فى السودان وعشرون قرشاً فى الخارج عن كل مجلد

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)